الفصل الثالث

القضـــاء والقدر

معناه الصحيح، ثماره اليانعة، إزالة الإشكالات

تمهيـد:

هل الإيمان بالقدر الذي كان مطلوباً من الأعرابي في الصحـراء كان معقداً لهذه الدرجة التي يفكر بها بعض الناس اليوم؟! أم أنها مفهوم مختلف عما يجب الإيمان به في القرن الحادي والعشرين؟! وبما أن هذا وذاك غير صحيح فما هو الإيمان بالقضاء والقدر إذاً؟

معنى الإيمان بالقدر.

من المعروف أن الإيمان بالقدر هو من أركان الإيمان الستة، التي وردت في حديث جبريل الطويل حينما سأل النبيﷺ: " ... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ "(مسلم:8)

والإيمان بالقضاء والقدر هو فرع من الإيمان بالله عز وجل، فأنت حينما تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، فإن من معانيها: (أن لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا محيي ولا مميت إلا الله، ولا يأتِ بالخير إلا الله، ولا يصرف السوء إلا الله، ولا حكم إلا لله) فإذا عرفنا أن المتصرف بالكون هو الله تعالى وحده فإن هذا هو معنى القضاء والقدر.﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾111الاسراء.

ثمار الإيمان بالقضاء والقدر:

ينتج عن الإيمان بالقضاء والقدر أمور عدة منها:

أولاً: الرضا به: ونتيجة هذا الاعتقاد أن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر، أو نعمة أو ابتلاء هو من عند الله عز وجل، ويجب على العبد أن يقابله بالرضى، وينتج عن هذا الرضى أمران:الشكر أو الصبر،أو كلاهما؛ وهذا هو حال المؤمن، يقول ﷺ:

"عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ "مسلم/الزهد:2999،

وهذا هو تفسير قوله تعالى:﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (51التوبة، فلم يقل لنا وعلينا، لأنه كله لنا، فالنعمة نشكرها فتكون لنا خيراً، والمصيبة نصبر عليها فتكون لنا خيراً، أما الكافر والعياذ بالله، فإنه إن أصابته نعماء بطر وتجبر وتكبر، وإن أصابته ضراء قنط وتحسر وكفر وانتحر.

وكان من ثمرة هذا الاعتقاد الصحيح: أن المسلمين الأوائل قد أسلموا قيادهم لله تعالى راضين بقدره، شاكرين لأنعمه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[15] الأحقاف.

كما أنهم كانوا صابرين على البلاء ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[156]البقرة، أي نحن وما نملك، ملك لله تعالى يأخذ ما يشاء، ويترك ما يشاء، فكانت النتيجة ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾

وكانوا يعتقدون أنهم كلوح بيد معلم، يكتب عليه ما يريد، وباللون الذي يراه مناسباً، بل إنهم كانوا يرون المصائب نِعَماً، فقد روي عن عمر ﷺ أنه قال: ما أصبت بمصيبة إلا تذكرت نعمة الله علي بأربعة أمور:

1. أنها كانت في دنياي، ولم تكن في ديني.
2. أنها كانت كذلك ولم تكن أكبر من ذلك.
3. أن الله تعالى يثيبني عليها أجراً-أما الكافر فلا أجر له-.
4. أنها سبب الصلوات والرحمة من الله تعالى.

وحكي أن الحجاج قطع يدي امرأة ورجليها، وألقاها على قارعة الطريق، فكانت دائمة القول: الحمد لله، فقال لها أحدهم: على ماذا تحمدين الله وأنت لا تملكين يداً تذبين بها الذباب عن وجهك؟

فقالت: الحمد لله الذي ترك لي لساناً أذكره به، وأقول: الحمد لله.

وذات مرة زارنا أستاذ فاضل، فسأله والدي-رحمه الله-:

كيف عينيك الآن؟

فقال:الحمد لله، اليمنى ربع نظر، واليسار سدس.

فقال له: وكيف العملية الجراحية؟ فقال: استأصلوا كلية، والكلية الثانية حالتها متوسطة.

فقال له: وكيف حال الأولاد؟ فقال: بخير، ولد وعشر بنات.

وكنت أنا أسمع كلامه وأتحسر عليه، فالتفت إلي هذا المربي الفاضل وقال: يا زكريا، إن أخذ الله منا شيئاً فقد ترك لنا أشياء، الحمد لله على نعمة الإسلام.

وهنا تذكرت قصة رواها لي بعض العوام، عن شيخه، وهي:

أن أحد الأنبياء سأل ملك الموت عليه السلام: كم ضحكت وكم بكيت؟

فقال: ضحكت مرة عندما دخلت على إسكافي لأقبض روح رجل كان عنده، وكان يقول للإسكافي: اصنع لي حذاءً متيناً يدوم سنتين، فوضع رجله اليمنى للقياس، وفي هذه اللحظة انتهى أجله فقبضت روحه قبل أن يكمل القياس.

وبكيت مرة عندما أمرت أن أقبض روح امرأة كانت على ضفة النهر، وكان معها ولدان تريد أن تقطع بهما النهر فقطعت النهر بالأول، ثم عادت إلى الضفة الأخرى؛ لتأخذ الولد الآخر فانتهى أجلها فقبضت روحها، وأحد ولديها على ضفة النهر اليمنى، والآخر على الضفة اليسرى، فذرفت عيني حزناً على الطفلين، فناداني رب العزة قائلاً:تأدب يا عزرائيل.

وبعد خمسين عاماً ذهبت لأقبض روح ملك المغرب، فلم أرَ رجلاً في مثل عزه، ومهابته، وخدمه وحشمه، فقال لي رب العزة:

أتدري روح من قبضت اليوم؟ قلت: الله أعلم، قال: هذه روح الطفل الذي تركته أمه على الشاطئ الغربي قبل خمسين سنة، وبكيتَ لأجله!

وحُكي أن راهباً كان يتعبد في صومعته قرب نهر، وإذا بفارس يأتي فيشرب من النهر، فتقع منه صرة نقوده لم يشعر بها، فجاء بعده شاب ليشرب فوجد الصرة فأخذها، وبعد قليل عاد الفارس يتفقد الصرة، فوجد عجوزاً عند النهر فسأله عن الصرة فلم يعترف بها، فقام الفارس بقتل هذا العجوز، واحتار الراهب فيما حصل أمامه، ونام مهموماً. وفي الليل رأى رجلاً يقول له:أتحب أن تعرف تفسير ما رأيت؟ قال: نعم، فقال له:

أن الفارس كان قد سرق والد الشاب الذي وجد الصرة، فأعاد الله إليه ماله، وأن العجوز كان قد قتل والد الفارس، فأراد الله عز وجل أن يقتص منه، وهذا هو يوم السداد.

وكذلك بعض ما ورد في سورة الكهف من قصص تعجب لها موسى عليه السلام، وكان تفسيرها الجميل في نهاية المطاف.

ولهذا كان الرضا بالقدر شأن المسلمين الأوائل، فهذه الخنساء بكت أخاها سنين طويلة، ورثته بديوان كامل من الشعر، ولكنها حين أسلمت، وجاءها خبر استشهاد أولادها الأربعة لم تذرف عليهم دمعة واحدة، بل قالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم.

وكذلك قصة أم سليم التي مات طفلها الوحيد،الذي كان مريضاً، فتزينت لزوجها في تلك الليلة، وعندما عاد من عمله أسرع ليرى الولد، فقالت له: اتركه فلقد نام نومة لم ينم مثلها، ثم بعد أن نال حاجته منها قالت له: إن جارتنا فلانة قد استعارت من جارتها وعاءً، وعندما جاءت صاحبة الوعاء

تطلبه منها أنكرته، ولم تعطها إياه، فما رأيك بهذا العمل؟ فقال: بئس ما فعلت، هذا خيانة للأمانة، فقالت له:

فإن الله قد أخذ أمانته التي عندنا، لقد مات ولدنا، فاحتسبه عند الله، فغضب منها وقال: تركتني بعد ما تلطخت بك؟ فذهب يشكوها لرسول اللهﷺ، فأعلمه رسول الله ﷺ بحسن ما صنعت ودعا لهما بالبركة، فولدت له تسعة أولاد كلهم يقرؤون القرآن.

وقد روى البخاري رحمه الله القصة في صحيحه ..... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا قَالَ سُفْيَانُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ"

ثانيا: الاطمئنان.

إذا كان رزقك بيد الله تعالى لا يأكله غيرك، وعمرك بيد الله تعالى لا يزيد ولا ينقص، وملك الموت منفذ لأمر الله، لا يملك من أمره شيئاً، ولا يستطيع أن يعصى الله فيما يأمره به ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وبهذه العقيدة الواضحة الصريحة يطمئن قلب المؤمن ويهدأ باله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ سورة الرعد آية(28).

روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍرضي الله عنه أنه قَالَ:" كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ،([1]) قَالَ الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم(2516: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأعداء ويلك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي

[1] كان المغني البريطاني الشهير يسير في الشارع خائفاً من أن يخرج عليه لص أو قاطع طريق، فيودي بحياته وتنتهي بذلك حياته مع فنه وجماهيره وشهرته. وبينما هو كذلك فإذا به يشاهد عجوزاً على جانب الطريق تجلس أمام بيتها بهدوء واطمئنان لا مثيل له. فأقترب منها وسألها عن سر اطمئنانها رغم أنها على حافة قبرها؛ بينما هو خائف على صحته وصوته وجماهيره وفنه. هنا قالت له هذه العجوز: إنني مسلمة. فسألها عن هذا الدين الذي لم يسمع به من قبل. فأجابته بأنه لا إله إلا الله، بمعنى أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت سواه. وأنه لا يأتي بالخير إلا الله ولا يدفع السوء إلا الله. وبذلك فهي راضية عن خالق السماوات والأرض فيما يجريه عليها من أقدار. ودلته على المركز الإسلامي هناك فذهب يزداد إيماناً وفهما لهذا الدين العظيم. وبعد أربعة أيام وإذا بأمه تتصل به من لندن تسأله عن أحواله ، فأجابها أن نقوده وجماهيره بازدياد كما أن صحته بخير. ولكن هذه الأم قالت له: ولكن ما معنى أني قبل ثلاثة أيام رايتك في المنام في غرفة معتمة، وفجأة غمرها نور عظيم ؟ هنا تذكر أنه قد اسلم قبل ثلاثة أيام، وبشرح موجز بسيط دخلت الإسلام على الهاتف. وطلب منها ولدها أن تذهب إلى المركز الإسلامي في لندن لفهم أكثر عن الإسلام ، بعدها سمى هذا المغني الشهير نفسه بـ يوسف إسلام.

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

ويحكى أن أحد الفرسان المحاربين كان متخاذلاً، جباناً، وكان عندما يتقابل الجيشان، يذهب إلى كهف فيختبىء فيه، وفي أحد الأيام وبينما كان يجلس في الكهف، وإذا بسهم طائش من المعركة يدخل الكهف ويستقر بين رجليه، وبقي السهم يهتز لفترة طويلة، فسحب السهم من الأرض وإذا به قد استقر برأس أفعى كبيرة، كانت تريد أن تنهشه، لولا عناية الله التي يسرت هذا السهم الطائش ليقتل هذه الأفعى ويخلصه من شرها، فأيقن أن الإقدام لا يقدم المنايا، وأن التراجع لا يؤخر الموت، فخرج من مخبئه وركب فرسه، وقاتل الأعداء بشجاعة، لم يعهدها منه أصحابه، وانتصر الجيش على الأعداء، وقيل إنه بعد هذه الحادثة، صار يقاتل الأعداء وصدره عارياً، فلم يرتدِ درعاً حتى استشهد.

أي يومـي أفر يوم لا يـقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبـه ومن المقدور لا ينجو الحذر

وروى لي بعض أصدقائي قصة عن طالب كان يريد السفر إلى أوروبا لإكمال دراسته الجامعية، وقبل السفر بيوم رأت والدته في المنام أن الطائرة سوف تسقط، فقامت بإخفاء جواز سفره، فاستيقظ الطالب قبل موعد السفر بأربع ساعات كي يتمكن من الوصول إلى المطار في الوقت المناسب، فبحث عنه طويلاً فلم يجده، وعندما اقترب موعد إقلاع الطائرة، ويئس من وجود جواز السفر، وأيقن بأن الرحلة هذه قد فاتته، عاد ليكمل نومه.

وكان الوقت لا يزال مبكراً، وأثناء قيام الوالدة بإعداد طعام الفطور للعائلة،وبجانبها الراديو، وتستمع لنشرة الأخبار الصباحية، سمعت نبأ سقوط الطائرة التي كان سيستقلها ولدها، فتركت ما بيدها وذهبت إلى ولدها تبشره بنجاته من الموت، فوجدته قد فارق الحياة، وصدق الله تعالى: .﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾154ال عمران، ولذلك فإن الفرار من المعركة لا ينجي من الموت

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾78النساء0

أما بالنسبة للرزق فإن كثرة الإلحاح أو الاستجداء لا تجدي نفعاً، ولا تكثر رزقاً بذاتها، وإنما الأمر كله لله، فليحرص الإنسان على أن يأكل لقمته بعز، ولا يأكلها بذل، مادام أنها لابد سيأكلها، وليجعل طلبه واستجداءه دائماً من الله الذي يملك خزائن السماوات والأرض

﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾المنافقون

فالله سبحانه وتعالى هو المتصرف بهذا الكون، وينفق كيف يشاء، ومن غير حساب، لا يخشى شيئاً ﴿ قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورا ﴾100الأسراء.

ثالثاً: الشجاعة:

الشجاعة هي السمة المميزة للمسلمين الأوائل، بل هي سمة لكل من آمن بالله تعالى، وآمن بالقضاء والقدر، لأنه يعلم أن ما أصابه هو من عند الله، وها هو القائد المسلم يقول لزعيم الكفر: والله لقد جئتكم بقوم يحبون الموت، والشهادة في سبيل الله، كما تحبون الحياة، وتحرصون عليها.

وهناك الكثير من الأمثلة في تاريخنا الإسلامي تبين لنا كيف كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على الشهادة في سبيل الله، ولا يخافون من الموت أبداً؛ لأنهم أيقنوا بأن أعمارهم محدودة، لا تتقدم ولا تتأخر، كما أنهم سيذهبون إلى ما هو خير مما يتركونه.

فالصحابة الكرام ثبتوا مع رسول الله ﷺ في بدر، وأحد والخندق، وغيرها بينما كان المنافقون يتسللون لواذاً: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لواذا فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾63النور.

وفي معركة اليمامة كان أكثر المجاهدين من قارئي القرآن، وحفاظه، وكانوا أكثر الناس شجاعة وإقداماً.

كما أن العلماء الأتقياء كانوا أكثر الناس قولاً للحق، ولا يخافون في الله لومه لائم، ولم يقتل منهم إلا من كتب عليه القتل في الأزل.

رابعاً: الكرم والجود، والبعد عن البخل والتقتير، فحينما يعلم الإنسان أن ما يأتيه لا يمكن أن يزيده كثرة الطلب ولا ينقصه قلة الإلحاح فإنه يصبح جوادا كريما وزاهدا عظيما.

((ما قدر لما ضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه)) والنتيجة((ويلك كله بعز ولا تأكله بذل))

ولذا فإن الإنفاق في سبيل الله، وفي أمور الخير التي حث عليها الشارع الحكيم، وهو لا ينقص المال لقوله ﷺ:" ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ لا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، وَلا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا.

كما أن البخل والتقتير لا يزيد في المال، بل على العكس ربما يفقده البركة، وقد حث الإسلام على الإنفاق في سبيل الله، وفي أمور كثيرة واعداً المنفقين بالخير الكثير في الدنيا والآخرة، كمضاعفة الحسنات، والزيادة في العمر، والبركة في الرزق، يقول جل وعلا: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ سورة الأنفال:60).

ويقول ﷺ:" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" (البخاري كتاب الأدب(5985)

وصلة الأرحام عادة تحتاج إلى الإنفاق، وسبق القول بأنهما محدودان، لا يزيدان ولا ينقصان

فهذه بعض ثمار الإيمان بالقضاء والقدر، وهناك ثماراً أخرى تعود على المسلم بالنفع، كترك الحقد والحسد، وترك التكبر والخيلاء، و لزوم القناعة، وحسن المعاملة، وحسن الخلق، وغير ذلك من الأمور المحمودة.

التوكل على الله، لا يعني ترك العمل.

فهناك فرق بين ثلاثة أشخاص:

الأول:يعمل ويعتمد على عمله فقط، دون الالتجاء إلى الله، وهذا هو الملحد، الذي يعتمد على الأسباب فقط، وينسى خالقها ومبدعها والمتصرف فيها، ومثل هذا كمن كُتب له مبلغ من المال في شيك هدية، فأخذ يقبِّلُ القلم الذي كُتب به الشيك، ونسي أن يشكر الذي كتب له الشيك بالقلم.

الثاني: هو الذي نام، والناس يزرعون، ويعملون في الأرض، ثم جاء في موسم الحصاد، يطلب مشاركة المزارعين فيما زرعوا، ويطلب حصته كواحد منهم دون أن يعمل، فهذا يستحق أن يجلد على كسله في البداية، ومشاكسة الحصَّادين في النهاية، أو يودع في مصحة عقلية لعله يفيق.

الثالث: وهو الذي بذر الحب، وتوكل على الرب، ثم توجه إلى الله بالدعاء كي ينزل الرحمة على الأرض وينبت الزرع، فهذا هو الذي توكل على الله حق توكله، يقول الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:15)

فأمر بالمشي لا بالجلوس، ولكن القلب متعلق بالله الرازق سبحانه:

وهكذا يجب أن نفهم قوله ﷺ:" لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا"ابن ماجه/الزهد:04164

ونلاحظ أن النبي ﷺ قال: "تَغْدو...وَتَرُوحُ" ولم يقل يرزقها الله وهي نائمة، فحتى الطيور أخذت بالأسباب، فرزقها الله، مع أنها لا تملك النقود، وليس لها مخازن للطعام، وهكذا الإنسان السوي يأخذ بالأسباب، وينتظر النتيجة من الله ﷻ.

فالمجاهد يلبس درعه، ويحمل سلاحه، ثم يطلب النصر من الله، ويُقدّم كل ما يستطيع من جهد، فيأتيه النصر من عند الله، وها هو سيدنا محمد ﷺ قال له ربه: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾ 67 المائدة، أي يا محمد لن يصل إليك أحد من الناس ليقتلك، ومع ذلك فقد لبس درعه للوقاية من

سيوف الأعداء([2]) ؛لأن الله تعالى قد تعبدنا بالأسباب، فهو الذي أمرنا أن نؤمن بالقضاء والقدر، وهو الذي أمرنا أن نلبس الدرع، فنحن نطيعه في هذا وذاك.

حل الإشكالات:

لما رأى الكفرة والملحدون، والزنادقة والمشككون، وأعداء الإسلام وعلى رأسهم إبليس اللعين، فائدة الإيمان بالقضاء والقدر، أعملوا فكرهم، وشحذوا هممهم؛ ليهدموا هذا الصرح في قلوب المسلمين.

فمن المعلوم أن إبليس–نعوذ بالله منه–حاول جاهداً أن يقنع آدم وحواء، بكل حيلة ووسيلة بأنه ناصح لهما ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ﴾، وحلف بالله كاذباً، وأقسم على ذلك، وكأن الله تعالى كان يمكر بآدم وزوجه، بينما إبليس ينصحهما، فلعنة الله على الكاذبين﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ وهددهما بالموت، ومناهما بالخلد والملك.

﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ﴾[20 الأعراف)

وكان ما كان من قصة آدم، وخروجه من الجنة لتكون موعظة لنا وعبرة، وأثبتت لنا بالتجربة والبرهان أن إبليس كان كاذباً، ولا يزال يسيطر على عقول الناس، فالوهن الذي أصاب الأمة، ويحيط بها الآن على كثرتها إنما هو بسبب: حب الدنيا، وكراهية الموت.([3]).

ولا يزال إبليس وأتباعه من الجن والإنس يحيكون الدسائس لهذه الأمة، ليبعدوها عن دينها، ويضعفوا إيمانها بربها وتوكلها عليه، فأثاروا العديد من الشبه، فصدقها ضعاف النفوس، وقليلو الإيمان، وسنفند هذه الشبه واحدة بعد الأخرى.

الشبهة الأولى: تبديل المفاهيم:الله رازق، الإنسان عابد (فعكسوها).

فمن المعروف لدى الجميع أن الله تعالى هو الرازق، والهدف من وجود الإنسان على هذه الأرض هو العبادة، وأما الرزق فقد تكفل الله به، إذ يقول جل وعلا:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ الذريات:57)

---

[2]) ولكن عندما ذهبت الأسباب فقد ظهر بداهة صدق التوكل على ﷲ فقط، كما حصل في غزوة حنين حينما انكشف الناس وبقي واقفاً ينادي: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. وما حدث كما في مجمع الزوائد ج: 9 ص: 8 أن رجلا قال يا محمد أعطني سيفك هذا فسله وناوله إياه فهزه ونظر إليه ساعة ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد ما يمنعك مني قال: الله يمنعني منك فارتعدت يده، حتى سقط السيف من يده فتناوله النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا غورث من يمنعك مني قال لا أحد بأبي أنت.

[3]) يقال بأن إبليس حاول أن يمكر بموسى عليه السلام فقال: يا موسى أريد أن أتوب إلى ﷲ وأنا نادم على فعلتي أشد الندم، وأنت كليم ﷲ فقل له يتب علي . فكان الجواب أن جبريل عليه السلام مستعد أن يدله على قبر آدم عليه السلام ، فإن سجد له تاب عليه فقال: والله يا موسى لم أسجد له وهو حي، فكيف أسجد له وهو ميت؟ هنا ظهرت الحقيقة وبطل الخداع.

ولكنّا نجد أن بعض الناس يسعى للرزق بكل قوته معتمداً على نفسه، وذكائه، ومهارته في كسب المال، دون النظر إلى باقي العوامل، وإذا سألته: لماذا تسعى لجلب الرزق مبكراً؟ رد قائلاً: إن الله يقول: واسعوا في مناكبها، فيغلط في الآية و في فهمها فجعلوا الرزق من الأرض، ونسوا رب الأرض، فضعف التوكل على الله عندهم.

وإذا سألت أحدهم: لماذا لا تصلي؟ قال لك: الله يهدينا، فجعل وظيفة الله سبحانه هي دفعه إلى الصلاة دفعاً، ولم يعلم أن البداية يجب أن تبدأ من قِبل العبد، إذ يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، سورة محمد آية (17).والمصلي عندما يشرع في الصلاة ويقرأ الفاتحة يقول: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أي زدنا هدىً وثبتنا.

فهم قد قلبوا المفاهيم، وتركوا الصلاة بحجة أن الله لم يهدهم، وينتظرون أن يدفعهم الله إلى الصلاة رغماً عنهم، وهذا هو مفهوم الهداية بنظرهم.

وإذا جاء الجهاد، قالوا: لماذا نجاهد؟ فإن كتب الله لنا النصر انتصرنا وإن لم نجاهد، وإن كتب علينا الخذلان، فلماذا نزهق أرواحنا بلا فائدة:﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ ، فجاء الرد الإلهي عليهم:﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾آل عمران 168).

ونسي أولئك أن المسلم إنما يقاتل لينال إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة، وهو لا يعلم أيهما يريد الله أن يحقق له منهما، فعليه أن يمتثل لأمر الله الذي فرض علينا الجهاد، ثم ليقضي الله ما يريد، لأن الله تعبدنا بالوسائل.

وإذا قيل لهم أنفقوا على عباد الله الفقراء من المال الذي استخلفكم فيه، قالوا كما قال أسلافهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾يس047)، ونسوا أنهم مستخلفين في هذا المال، وأنهم مأمورون بالإنفاق:

﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾الحديد.(7)، ولكنهم ينسون ذلك، ولا يتذكرونه إلا عند النزع الأخير:﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾99المؤمنون.

وهذا الإقبال على الدنيا والتهافت عليها، وترك العمل للآخرة، يذكرني بنكتة، وهي:

أن رجلاً قال لرفيقه: يا عبد القادر، قم واذهب إلى السوق لتشتري لنا طعاماً، فقال: لست بقادر، فذهب الأول وأحضر الطعام، ثم قال لرفيقه: يا عبد القادر، لقد أحضرت الطعام، فأحضر الصحون، فقال: لست بقادر، فأحضر الصحون ثم قال له:

يا عبد القادر، لقد وضعت الطعام في الصحون، فأحضر لنا الماء، فقال: لست بقادر، فجهز كل شيء، ثم قال له: يا عبد القادر، لقد جهزت كل شيء فتعال لتأكل، فقال: يا قادر أسعف عبد القادر، حتى يصبح على تناول الطعام قادر.

وفي اليوم التالي اختصر رفيقه الطريق وجهز كل شيء ولم يكلف عبد القادر بشيء، ونادى عليه قائلاً: يا عبد القادر، لقد جهزت كل شيء، فقم لتتناول الطعام، فقال عبد القادر: يا رفيقي، والله لقد استحييت منك لكثرة ما قلت لك: إنني لست بقادر، فقام وأكل.

وقصة الحداد والكلب مشهورة، إذ يبقى الكلب نائماً طوال الفترة التي يعمل فيها الحداد، وعندما يستريح لتناول الطعام، يستيقظ الكلب، فقال الحداد مخاطباً الكلب: عجباً لك، فصوت المطارق العالي لا يوقظك، أما صوت المضغ الخفي فيوقظك!

وعندما يدوي صوت المؤذن في أرجاء المعمورة ومن خلال مكبرات الصوت: " حي على الصلاة، حي على الفلاح" تجد كثيراً من الناس لا يتحرك، ولا يحرك ساكناً، وعندما ينادى بصوت عادي: هيا إلى الطعام، يقوم نشيطاً، ويسيل لعابه، فهل هذا هو القضاء والقدر، أم هو قلب للمفاهيم؟

الشبهة الثانية: الخلط بين العلم والإجبار: فبعض الناس يقولون: إذا كان الله يعلم بأننا سنفعل كذا وكذا، فلماذا يحاسبنا عليه؟

والجواب: إن من صفات الله تعالى: العلم، فلا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن، إلا ويعلمه الله سبحانه ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾59الأنعام

فالله تعالى يعلم بأنه سيحدث منا كذا وكذا، وأمر بتدوينه في اللوح المحفوظ، تدليلاً على علمه بالأشياء قبل وقوعها، دون أن يلزم أحد ا بذلك، أو يجبره على فعلها.

والأخطر من ذلك هو هل يصح أن يكون الإله جاهلاً بما سيجري في ملكه؟ بالطبع كلا وألف كلا؛ لأن الله تعالى عليم خبير، ويعلم منذ الأزل ما جرى، وما سيجري في الكون حتى قيام الساعة، وما بعد ذلك أيضاً، ولكن هذا لا يعني بحال الإلزام أو الإجبار، فعلم الله تعالى كاشف وليس بمجبر.

فلو أن رجلاً كان يشاهد فيلماً بوليسياً على شاشة التلفاز في بيته، وأثناء ذلك حصلت جريمة قتل في الفيلم، فهل يحق للشرطة أن تلقي القبض على هذا المشاهد، لأنه لم يغلق الجهاز بعد مشاهدته

للجريمة، وأنه شريك فيها؟ بالطبع لا، لأن المشاهد لم يتسبب بالجريمة لمجرد أنه تفرج عليها، لأن تمثيل الجريمة قد وقع سواء نظر إليه المشاهد أم لم ينظر.

ولو أن الجهات المسؤولة كتبت تحذيراً على الطريق ينبه السائقين إلى وجود منعطف خطر على بعد(500) متر، ثم على بعد(400) متر، وهكذا تزيد لافتات التحذير كلما اقترب المنعطف، فمرت سيارة مسرعة، وكلما مرت عن تحذير زادت سرعة السيارة، فقال الشرطي الذي كان يقف عند أول تحذير لمن حوله:

أقسم بالله العظيم بأن هذا السائق سيتدهور عند المنعطف ويموت، وبالفعل تدهور السائق ومات عند المنعطف، فهل لذوي السائق أن يطالبوا الشرطي بدية السائق، لأنه عرف بخبرته بأن هذا السائق سيقع له ما وقع؟

ولو أن رجلاً كان ينظر بمنظار فرأى رجلاً يقتل آخر، فهل يحاكم لأنه لم يغمض عينيه؟

ولو أن مدرساً يدرس أحد الصفوف لعدة سنوات، ومن خلال خبرته بطلابه ومعرفته بهم قال: إن زيداً سيكون الأول على الصف، وعمراً سيكون الثاني، وعلياً سيكمل في الرياضيات، وسعيد سيكمل في اللغة الإنجليزية، ودون هذا في دفتر ملاحظاته، وأخفى ذلك عن التلاميذ حتى نهاية الفصل، ولكنه بذل كل ما بوسعه في تدريس الطلاب جميعهم، والنصح لهم، وتوجيه الإرشاد لهم والتحذير من الرسوب أو الإكمال، ووعد المتفوقين بالمكافأة، ووعد المقصرين بالعقاب، وفي نهاية العام جاءت النتائج كما توقع تماماً، فهل يكون هذا المدرس ظالماً؟ اللهم لا.

مثال: ولو طلبت من جماعة أن يدلوني على شخص أمين؛ لحاجتي لمشاركته في متجر فدلوني على فلان فقلت لهم: هذا خائن، ونادوا لي عليه، حتى تعرفوا صحة ما قلته لكم .

وعندما جاء طلبنا منه أن يشتري لنا غرضا من السوق، وعندما أحضره قلنا له: كم ثمنه؟ فقال: عشرة دنانير. وعندما تحققنا من الأمر وجدنا أنه اشتراه بخمسة؛ وبذلك عرفوا صدق ما أخبرتهم به؛ فهل أنا بذلك ظالم له أم عالم به؟ والجواب: أني قد كشفت لهم حقيقة هذا الشخص.

وقديماً احتج الكفار بهذه الحجة ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾،فجاء الرد من الله تعالى بتكذيبهم: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾،59الأنعام.

أي أنكم تحتجون بالقدر بعد فعل المعصية، فهل أعطاكم الله وعداً بأنكم سترتكبون المعصية في الوقت الذي فعلتموها به؟ أم أنه تخرص، وظن؟

فلله الحجة البالغة عليكم، ولو شاء الله لجعلكم كالملائكة لا تخطئون أبداً، أو كالحيوانات لا حساب عليها، أو كالجماد لا ذنب ولا حساب، ولا حتى حركة، ولكن الله سبحانه وتعالى اختار للإنسان أن يكون صاحب إرادة، واختيار، فإن توجه لفعل الخير مع قدرته على فعل الشر، كان أفضل من الملائكة التي تفعل الخير ولا تملك أن تفعل غيره،

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾7البينة.

ومن توجه لفعل الشر، وهو قادر على فعل الخير، فهو أشر من الدواب التي لا تملك أن تصوم مثلاً، ولكنها لو استطاعت ذلك وأمرت به لفعلت

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾55الأنفال.

الشبهة الثالثة: الخلط بين الرضا والإرادة. فقالوا:

إذا كان لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذن الله، وبإرادته فلماذا نحاسب؟

ومع أننا تعرضنا في لهذه القضية من خلال الحديث عن الشبهة الثانية، لكنا سنوضح هذا الأمر بمزيد من الأمثلة، كي يمكن التفريق بين الإرادة والرضى.

فلو أن أحد المطلوبين لتأدية خدمة العلم، أراد التهرب من الخدمة بشتى الوسائل، وأخيراً استنفذ كل الأعذار، فقال له الضابط المسؤول:

أنت بين خيارين: إما أن تؤدي الخدمة الإلزامية لمدة سنتين، وإما أن تسجن ثلاث سنوات، فإن كان عاقلاً سيختار الأمر الأول، ليس حباً في الخدمة العسكرية، وإنما هروباً من السجن الذي هو أشد وأقسى من الخدمة، وأطول مدة.

إنه أراد أن يذهب، ولكنه لم يرض بذلك، إذا: فالإرادة غير الرضى.

جاء بعد هذا شاب آخر وحيد الأبوين، فقال له الضابط المسؤول: أنت معفي من الخدمة العسكرية؛ لأنك وحيد أبويك، والقانون يعفيك من الخدمة، لكن الشاب أجابه:

إنني أريد الخدمة بإرادتي؛ لأنني أعرف أن الخدمة العسكرية شرف ورجولة، وشهادة في سبيل الله، فأرجو أن لا تحرمني من نيل هذا الشرف، فذهب هذا الشاب إلى الخدمة العسكرية بإرادته، وبرضاه أيضاً، فهل تحرك الأول كتحرك الثاني؟ لا، فالاثنين تحركا بإرادتهما، ولكن الأول بغير رضاه، والثاني بكامل رضاه،

وإذا استطعنا أن نفرق بين الإرادة والرضى، استطعنا أن نفهم قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾7الزمر)

ولكن الله عز وجل لم يترك للكفار حجة، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، بل قطع على نفسه عهدا بأن لا يعذب أحداً لم تبلغه الرسالة، فقال تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[15الأسراء].

فلو أنك أعطيت سيارتك لصديقك، وفي الطريق لقي عجوزاً، فحمله معه في السيارة، وساعده في الوصول إلى بيته، دون أن يأخذ منه شيئاً، فالخير ينسب لصديقك؛ لأنه هو الذي قام بالمساعدة، كما أنك تُشكر أيضاً؛ لأنك ساهمت في المساعدة بطريقة غير مباشرة، إذ لو لم تساعد رفيقك بإعطائه السيارة، فلا يستطيع أن يساعد نفسه، وبالتالي لا يستطيع مساعدة غيره، فالشكر لكما معاً.

بينما لو أنك أعطيت سيارتك في اليوم الثاني لصديق آخر، فلقي في طريقه عجوزاً، فصدمه عامداً متعمداً، ففي هذه الحالة الشر ينسب لفاعله وحده، ولن يلومك أحد؛ لأنك حينما أعطيته السيارة قصدت مساعدته، ولم تأمره بفعل الشر، ولكنك في كلا الحالتين عندما أعطيت السيارة لكل منهما، فيجب أن تتوقع الأمرين، ومن الكياسة أن أوصي الطرف الآخر بالخير وأحذره من فعل الشر، فأبرئ ذمتي.

وبعد: فإننا نقول: إن الله جعلنا مريدين بمحض إرادته هو، فكل تصرف نتصرفه إنما هو بإرادة الله تعالى، لكن الله تعالى يحب العمل الصالح ويرضاه، ويكره العمل الطالح، ولا يرضاه، فسبحان من أعطانا العقل والإرادة والقوة، وأرسل إلينا الرسل ليعلمونا، ويفرقوا لنا بين الخير والشر.

فنحن حينما نتوضأ، ننال الأجر والثواب، مع أننا قمنا بتنظيف أجسامنا، وإزالة الأوساخ عنها، وحينما نأكل ثم نحمد الله، يكتب لنا بذلك أجراً، مع أننا أتينا شهوة لنا، ولا نختلف في ذلك عن الكفار سوى أننا علمنا أن هذا الخير من الله فحمدناه عليه، بينما الكافر يرى أن هذا شيء من ملذات الحياة، يستمتع بتناوله، وهو عادة لا أكثر، فلم يفكر، فلا ينال شيئاً، وسيسأل عن ذلك يوم القيامة أيضاً، فأي كرم هذا الذي منحنا إياه ربنا تبارك وتعالى، فله الحمد والمنة.

الشبهة الرابعة:الخلط بين كتب وحاسب. فبعض الناس يقولون: طالما أن الله كتب علينا الأشياء فلماذا يحاسبنا عليها؟

وإذا سلمنا بهذا السؤال، فإننا نفترض بأن الإنسان كالريشة في مهب الريح، فهل هو كذلك؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[11الرعد]، ولو سلمنا جدلاً بصحة السؤال، فعلينا أن نتعرف أولاً على الفرق بين: كتب وحاسب.

فلو ذهب رجل إلى المسجد ليصلي، فكسرت رجله في الطريق، نقول وبكل تأكيد بأن الله تعالى لم يكتب له أن يذهب إلى المسجد، لماذا؟ لأنه كُسِرَ وحُمِلَ إلى المستشفى، فهل يسأله الله تعالى

يوم القيامة، عن تضييع صلاة الفجر في جماعة؟ طبعاً لا، بل إن الله سيكتب له أجر الجماعة مع أنه لم يصلها في جماعة، لقولهﷺ:" إِذَا مرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا" (البخاري:2996).

ذلك لأنه لو كان معافى لذهب إلى المسجد ولم يتوانى، ولأن الله يحاسب العبد بحسب نيته لقوله ﷺ " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" (رواه البخاري بدء الوحي برقم(1).

و لذا فقد ورد في مجمع الزوائد ج: 1 ص: 61 عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((نية المؤمن خير من عمله). ولذلك هناك فرق بين: كتب وحاسب.

فالنمرود مثلا حاول أن يحرق إبراهيم عليه السلام بالنار، ولكن النار لم تحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ لأن الله لم يكتب له أن يُحرق بالنار، فهل ينجو النمرود من العقاب يوم القيامة؛ لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يحرق، ولم يكتب الله له ذلك؟! اللهم لا؛ لأن نية النمرود انعقدت على حرق إبراهيم عليه السلام، فسيحاسب على ذلك.

كما أن سيدنا إبراهيم عليه السلام سيؤجر على صبره، وكأنه حرق فعلاً، لأن النية انعقدت عنده على الشهادة في سبيل الله، ويوضح هذا قول النبيﷺ " إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ ".(رواه البخاري في كتاب الإيمان برقم(31).

وخلاصة القول: إننا يجب أن لا نسأل ماذا كتب الله علينا، لأن هذا من شأن الله وحده، ولكن يجب أن نسأل: هل سيحاسبنا الله على هذا العمل الذي ننوي القيام به، أم لا؟

كما يجب على الإنسان المسلم أن يكون مستسلماً لله، فلا يقول: يا رب أعطني مالاً كي لا أسكر، أو ارزقني كي أصلي، و زوجني كي أصوم، فالذي يفعل هو هذا بيّاع مقايض، وليس مستسلماً عابداً، إذ أن المسلم هو المستسلم لأمر الله تعالى، ويقدم ما يستطيع من الأعمال الصالحة، ثم يتوكل على الله.

فليس العمل هو الذي يدخل الإنسان الجنة، ولكن حسن التوكل على الله والاستسلام لأمره، إذ يقول النبيﷺ "(لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لا وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ)البخاري/المرضى31 .

وهذا التوجيه النبوي يغنينا عن الزيادة.

الشبهة الخامسة: هل الإنسان مسير أم مخير؟

وهذا موضوع فلسفي، القصد منه عند بعض الناس التهرب من التكاليف، فإن قيل: إنه مسير، قال: إذاً لماذا أحاسب على شيء ليس لي فيه خيار، وإن قيل: إنه مخير، قال الكلام نفسه، لماذا أحاسب على شيء سمح لي بحرية الاختيار فيه، ففي جميع الأحوال يريد أن يهرب من العمل.

والجواب أن الإنسان مخير في بعض الأمور، ومسير في بعضها الآخر، فإذا كان الإنسان مجنوناً فلا يحاسب أبداً، لأنه مسلوب الإرادة، قال:ﷺ " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ * وقال أيضاً: "إِنَّ اللَّهَ تجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) ابن ماجه / الطلاق برقم(2043).

فهذه الأصناف لا إثم على أصحابها؛ لأنهم مسلوبي الإرادة، أو ناقصي الإرادة، وهذه رحمة من رب العالمين، ولمزيد من الإيضاح نقول:

لو نطق النائم بما يأثم به المستيقظ لما لحقه بذلك إثم، بينما لو نطق النائم بما يثاب عليه المستيقظ، لنال الأجر والثواب بذلك، لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾286البقرة.

فمعني: ﴿كَسَبَتْ﴾ أي بقصد وبغير قصد، بينما: ﴿اكْتَسَبَتْ﴾ لا تكون إلا عن قصد وتصميم، فلا يمكن أن نساوي بين رجلين أحدهما قتل نفساً مع سبق الإصرار والترصد، والآخر أراد أن يطلق النار على صيد، فإذا به يصيب إنساناً.

ولذلك فإن الله تعالى لو عاملنا بالعدل فقط، لهلكنا جميعاً، ولكنه يعاملنا بالعدل والإحسان، فالله تعالى يقول في الحديث القدسي:" الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَغْفِرُ " أحمد في مسنده برقم(20808).

ولنفرض أن شخصاً قال: كل من ركض إلى جهة القبلة فله عندي جائزة، عدا الجوائز للأوائل، ثم قال: ولعل أحدكم يكون مريضاً فليحرك رأسه يميناً وشمالاً فله جائزة، فكم يكون هذا الشخص كريماً؟

والله إنه لكريم. لكن لو قال أحد الحاضرين: سأركض بالاتجاه المعاكس معاندة ومكابرة وعصياناً، فلم يعطه الرجل الكريم جائزة، فهل هذا يعني أنه أصبح بخيلاً، أم أنه عامل المعاند بالعدل؟ لذلك يقول:ﷺ "

((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)) " (البخاري:7280).

فالله لا يحب تعذيب العباد، ولكنه لابد من محاسبة المعاندين، بعد أن هيأ الله لهم كل أسباب الهداية، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾147النساء.

فإذا عاد الإنسان إلى رشده وتاب إلى الله فإن الله يفرح بعبده التائب،إذ يقول:ﷺ " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ)) (مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، برقم(2744)

والآن أرحب بالأسئلة والمشاركات:

المشاركة(1):لإنسان يجب أن ينظر إلى المال والجاه لا على أنهما خير من عند الله، بل هما مسؤولية أمام الله تعالى إن أدى حقهما فبها ونعمت، وإلا فكما قال:ﷺ ((إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ)). (البخاري7148).

ويقال: إن وزيراً وظف صديقين له، أحدهما مساعداً له، والآخر مراسلاً يشتري له كل يوم رغيفاً من الساندويتش بعشرة قروش، وكان الثاني عاتباً على الوزير لأنه وضعه بهذه الوظيفة، ووضع الآخر بوظيفة رفيعة، وبعد شهر أوقفهما الوزير للمساءلة والحساب.

وكان مكان المحاسبة بلاط تحته نار، فوقف المساعد فترة طويلة يرفع رجلاً ويخفض الأخرى، وعندما جاء دور الآخر وشعر بالحرارة قال: أيها الوزير: عشرة قروش بثلاثين يوماً = ثلاثة دنانير، وها هو الباقي، والحمد لله أني لم أكلف بأكثر من ذلك، وشكر الوزير بقلبه؛ لأنه لم يكلفه بوظيفة أكبر وشكراً.

شكراً لك يا أخي، يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي اهانن۞كَلَّا ﴾15الفجر) فالجواب كلا؛ لذلك فإن كل نعمة في الدنيا سيحاسب المرء عليها يوم القيامة:﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ)التكاثر)

فصاحب العين الواحدة لا يسأل عن الأخرى، والأعمى لا يحاسب على نعمة البصر، والفقير لا يحاسب على الغنى، أما الكافر فإنه سيتمنى لو كان في الدنيا حماراً، وذلك حينما يرى أن الله تعالى يقول للحيوانات بعد أن تتقاضى من بعضها بعضاً: كوني تراباً

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُيَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ آخر سورة النبأ) و ذلك حينما يوقن أنه سيحاسب على نعمة العقل الذي لم يستعمله في الدنيا كما يجب.

المشاركة(2): دخل زنديق على هارون الرشيد، وكان يجلس عنده أحد العلماء في حديقة قصره، فطلب الزنديق من الخليفة أن يناقش الشيخ بحضور الخليفة، فأذن له.

فقال:الزنديق: أيها الشيخ: إذا كان الله موجوداً فلماذا لا نراه؟

الشيخ: هذا سؤال لا يحتاج إلى جواب كامل، فهل عندك سؤال آخر؟

الزنديق: إذا كان الله قد كتب علينا أشياء فلماذا يحاسبنا عليها؟

الشيخ: وهذا أيضاً لا يحتاج إلى جواب كامل، فهل لديك سؤال آخر؟

الزنديق: إذا كان إبليس مخلوق من النار فكيف سيعذبه الله بالنار؟

فتناول الشيخ شيئاً من طين الحديقة، وضرب به وجه الزنديق، فصاح متألماً، وقال لقد آلمتني، فقال له الشيخ: أين الألم إني لا أراه؟

فقال: ألم تر إلى وجهي كيف أثّر به مكان الضربة، كما أني صرخت وتألمت، فقال الشيخ: وكذلك الله تبارك وتعالى لا يُرى، ولكن هذا الكون البديع المنظم أكبر دليل على وجوده.

فقال الزنديق: ولماذا لم تفهمني ذلك الكلام بأسلوب رقيق؟

فقال الشيخ: لأن الله كتب علي أن أعلمك بهذا الأسلوب القاسي. فلا تؤاخذني! ثم أضاف الشيخ قائلاً: عجباً لك، فأنت مخلوق من الطين فكيف تتألم من الطين؟ وهذا جواب لأسئلتك جميعها، وشكراً.

أشكرك يا أخي على هذه القصة الجميلة، وإن أعداء الإسلام يأخذون هذه الأسئلة من كتبنا ويطرحونها علينا؛ لأنهم يعتقدون بأن شباب اليوم لا يطالعون الكتب، والأمر الآخر: أن الشيخ لو صفعه بيده لقال له: مخلوق من لحم وعظم كيف يتأذى باللحم والعظم؟.

وانظر إلى سرعة البديهة عند هذا الشيخ، كيف تنبأ بالأسئلة التي يريد أن يطرحها الزنديق، فحضر له الإجابات بشكل تطبيقي، ونحن الآن نكتفي بسرد القصص فقط دون ضرب.

المشاركة(3): يُقال: سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً: يا رب لماذا لابد من عذاب الكافرين بالنار؟

قال: يا إبراهيم ازرع القمح، وبعدما انتهى العام، قال: يا رب، القمح الجيد وضعته في الأعلى، ووضعت القمح الرديء في الأسفل علفاً للدجاج، وأما التبن الناعم، فجعلته علفاً للدواب، أما التبن الخشن فجعلته لبناء الحيطان، و أما التبن القاسي جداً فوضعته في الفرن(التنور).

فقال الله تعالى: يا إبراهيم، وكذلك أنا لا أضع في النار إلا من يستحقها، وشكراً.

شكراً يا أخي الكريم، ولكن أريد أن أنبه بأن هذه الحكايات، ربما لا تكون نسبتها إلى الأنبياء صحيحة، ولكنها تسرد على سبيل الاستعانة والتفهيم، والمعنى صحيح، فالله سبحانه وتعالى لن يدخل جهنم إلا من يستحقها . ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾46فصلت)

واللهُ ﷻ ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (القصص:69) فلو أخرجهم مولاهم من النار لقالوا لو عدنا إلى الكفر والفسق فسيعود علينا بالمغفرة، فلا بأس أن نعصي من جديد وصدق الله العظيم .﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (الأنعام:28)

المشاركة (4): إن المقتول لا يموت بإطلاق الرصاص عليه، ولكن لأن عمره انتهى، إلا أننا نقوم بمعاقبة الجاني، لأنه أراد الضرر بالقتيل، وأراد قتله.

فلو أن رجلاً قال لابنه لا تنفخ على المصباح؛ لأنه ليس عندنا غيره، وإخوانك يريدون الدراسة، وبعد أن خرج الوالد صار الولد ينفخ على المصباح دون أن يكترث لما قاله والده، فغضب الوالد وقام بإطفاء المصباح، بقطع الكهرباء عنه من مكان لا يراه الولد؛ فالفاعل الحقيقي هو الوالد، ولكنه سيقوم بضرب الولد لأنه لم يمتثل لأمره؛ لأنه كان يريد مخالفة أبيه، والإضرار بأخوته الآخرين، فاستحق العقاب. وشكراً.

شكراً لك: و هذا إيضاح جيد يتمشى مع قوله تعالى:﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾ 6العنكبوت وقوله أيضاً في الحديث القدسي:" يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي" مسلم/البر2577.

السؤال الأول: ماذا نفعل بحديث:" فيسبق عليه الكتاب؟ الجواب: إن الأمة لولا هذا الحديث، وما في معناه من التوجيهات لكانت هلكى؛ لأن الأمة مقسومة إلى قسمين:

القسم الأول: يظن أنه محسن، وبذلك يبدأ يتفاخر، أنا أصلي، وأصوم، وأزكي، أنا إلى الجنة، فهذا لا شك سيهلكه الغرور.

القسم الثاني: يظن أنه مقصر، فيبدأ بالخوف الزائد، فيقول أنا عاصي، أنا مذنب، أنا مقصر، أنا إلى جهنم، وهذا سيهلكه القنوط.

فجاء هذا الحديث ليقول: أيها الطائع لا تغتر بعبادتك فإن أمامك عقبة كئود فقل كما قال نبيك ﷺ:" يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " الترمذي/القدر2140) ، وأنت أيها العاصي لا تقنط من رحمة الله فإن باب التوبة مفتوح فأسرع في الدخول إليه:﴿قل ياعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر53

فالطائر يجب أن يطير بجناحين متوازيين؛ فلو كان لطائرة جناح واحد طوله عشرين متراً، والآخر عشرة لما استطاعت الطيران، وأما إن كان لها جناحان متساويان بطول خمسة أمتار فإنها ستطير بسهولة، وهكذا فالإنسان يجب أن يطير بجناحين متوازيين هما الخوف والرجاء، ومع ذلك فإن الحديث يضل على حقيقته، ونحن سنبقى بين الخوف والرجاء، وعلينا بالإلحاح في الدعاء ممن يملك كل شيء فيارب ثبت قلوبنا على دينك، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

السؤال(2) ما معنى لا يرد البلاء إلا الدعاء؟

الجواب: البلاء قدر والدعاء قدر؛ فقدر يدفع بقدر. كما أن الجوع قدر يُدفع بالطعام وهو قدر أيضا؛ لكن كلاهما داخل في علم الله تعالى، وتحت إرادته سبحانه 0.فليس كل من يجوع يجد الطعام كالفقير، وليس كل من يجده يستطيع أن يأكله كالمريض، وليس كل من يأكل يستفيد مما يأكل، وقد يؤكل الطعام فيكون سماً. وكذلك المبتلى فقد يتذكر الدعاء أو لا يتذكر، وقد يجاب على الفور وقد لا يجاب أصلا وقد يدخر اجره في الآخرة .

واللديغ قد يجد الدواء وقد لا يجد وقد لا يستفيد؛ فالحديث جاء بقصد الحث على التوجه إلى الله تعالى، حتى من يقوم بالطاعة يجب أن يطلب من الله تعالى القبول والتثبيت ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّاب﴾ آل عمران:8)

(راجع إن شئت كتابي خمس حقائق إيمانية / فصل الدعاء)

المشاركة(5): كنت أركب في سيارة، وكان السائق مسرعاً، فقلت له: على رسلك يا هذا، فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى، فقال: يا شيخ مالكم تقولون ما لا تفعلون؟ قلت: ماذا يا هذا؟

فقال: أليس كل شيء بقدر؟ فقلت له: نعم، ولكن لنفترض أن الله قد كتب عليك أن تموت بسيارتك تحت شاحنة ضخمة–وهنا بدأ يخفف سرعته– فهل هناك فرق بين أن تكون مسرعاً فتدخل تحت الشاحنة لطيشك، وبين أن تكون واقفاً فإذا بالشاحنة تركب فوقك لطيش سائقها؟ فقال: نعم هناك فرق كبير.

قلت: فنحن نحب أن نسير بهدوء ليس فراراً من الموت، ولكن خوفاً من أن يحاسبنا الله على طيشنا يوم القيامة، وشكراً.

شكراً لك، وهذا توضيح جيد للتفريق بين: كتب وحاسب، التي نحن بصددها، فنحن حين نتوجه للعمل، لا نقصد بذلك جلب الرزق، ولكن لنيل أجر التعب، والكد في تحصيل أسباب الرزق، إذ أن الرازق هو الله، والقاعد يأتيه رزقه، ولكن ليس له أجر التعب والكد في تحصيل الرزق، كما أن دخول الجنة برحمة الله، ولكن الجنة درجات، وإنما تحصل الدرجات العلى بالعمل.

المشاركة (6):

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات شيئاً عاتب القدرا

يروى أن أبا بكر الصديق ﷺ كان في حروبه للردة يعمل حتى يقال: إنه لا يتوكل، ويتوكل حتى يقال لا يعمل، ذلك لأن الزهد، والرياء، والتوكل هي من أعمال القلب، فمن الناس من يعمل ومنهم من لا يعمل، والذي يعمل قسمان: الأول متوكل والثاني غير متوكل، أما الذي لا يعمل فهو كسول ولا يقال عنه: متوكل، وإنما يقال عنه متواكل.

نعم: فقد سئل علي بن أبي طالب ﷺ عن القدر فقال: أراد منا وأراد بنا، فانشغلنا بما أراد بنا عما أراد منا. نعم فالمسلم = المستسلم لأمر الله ينفذ أوامره، ويترك الباقي لله ﷻ فهو العادل الكريم العفو الرحيم.

المشاركة(7): روى البخاري بسنده ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺخَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشام فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَلا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ:

ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلافِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ:

ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ:

أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ:

فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ ".البخاري /الطب/5729

المشاركة(8): أحد الطلاب رسب في التوجيهي فقال: كتب الله علي أن أرسب، وفي العام التالي، نجح، فأخذ يغني ويرقص ويطلق العيارات النارية في الهواء، فذهبت أبارك له على نجاحه، وقلت له:

لماذا هذا الإسراف والتبذير في مال الأمة وبأغلى شيء تملكه للدفاع عن نفسها؟ فقال: لقد نجحت وأريد أن أفرح، فقلت له:

يا هذا، في العام الماضي عندما رسبت، قلت: الله كتب علي الرسوب، وفي هذه السنة تقول: أنا نجحت، فلو قلت:

كل من عند الله لقاربت من الحقيقة، فقال: صدقت.

شكرا للأخ الكريم:علما بأن الرسوب في الامتحان لا يعدّ عيباً في الشخص، إن هو اجتهد وقدم جهده، ولعل الرسوب كان حافزاً قوياً للنجاح.

المشاركة(9): سئل الشيخ علي الطنطاوي –رحمه الله–عن الإنسان هل هو مسير أم مخير، فقال: الإنسان في الغرب مخير، وفي بلادنا مسير، فتعجب الناس من جوابه، وطلبوا منه مزيداً من الإيضاح، فقال:

في الغرب أعملوا عقولهم، فصعدوا إلى القمر، بينما نحن سادرون في مسائل حلها علماؤنا من زمن قديم، وما مثلنا إلا كمثل الفلاسفة البيزنطيين، عندما دخل عليهم المسلمون وفتحوا بلادهم، وهم لا يزالون يتناقشون: هل الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة؟

مشاركة(10) دخل رجل إلى المسجد وسال الشيخ قائلا:هل أنا مسير أم مخير؟ فأجابه:إرفع رجلك. فرفع اليمنى. فقال الشيخ:ارفع الثانية، فلم يقدر..هنا قال له الشيخ: يا هذا أنت لا مخير ولا مسير؛ فطولك ولون بشرتك ونبض قلبك غير محاسب عليه، بينما إرادتك للخير أو حبك للشر محاسب عليه.

مشاركة(11) كان الكفار يثيرون مسائل القدر﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ (النساء:78) فيتطيرون من محمد فأرشده سبحانه للجواب بأن الكل من عند الله سبحانه وهذا من باب الرد على الكفار من باب من فمك أدينك.

ثم علمنا الأدب معه سبحانه وتعالى فقال ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء:79)

وذلك لأنني حين أقوم إلى الصلاة فالماء واليد والرجل من الله تعالى، ولولاه سبحانه لما استطعت الوضوء ولا عرفت الصلاة، فكانت الحسنة بكل مقوماتها من الله سبحانه.

وحين أعصى فاليد التي أعطاها الله عز وجل لي لم يأمرني بالمعصية فيها، فكانت السيئة من نفسي.

مشاركة (12) حين تشاهد الكافر يتنعم فلا تظنن أن ذلك لصالحه؛ فالفار حين يأكل كتب الأولاد فيأتي الأب فيضع له قطعة الجبن داخل المصيدة فيعترض الأولاد، ولكن حين يمسك به يعرف الأولاد الحكمة من ذلك.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ المؤمنون:56) وفي الحديث الشريف (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)

مشاركة (13): أكثر صديقي ناصر من اللوم على القدر. فقلت له:

افترض أن الله تعالى كتب عليك حسن العمل، ويوم القيامة، وضعك في النار. فإن لم يعجبك ذلك؛ فقدم استدعاء، أو أخرج مظاهرة؛ صيح. أغضب . نادي بأعلى صوتك، زمر، طق. ما رأيك؟!!!

هنا أدرك ناصر أنه عبد لرب كتب على نفسه الرحمة؛ وهو واسع المغفرة. فلماذا التشدق والعناد. وبعدها بدأ الصلاة والالتزام بحمد الله تعالى.

مشاركة(14):وفي تفسير القرطبي ج: 12 ص: 108بيان لمدى العدالة الربانية:

عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى أولئك هم الوارثون إسناد صحيح؛ فالجنة جاهزة والنار كذلك .فما علينا سوى العمل .

وحكمة الخفي مما يجرى في الكون له أمثلة في سورة الكهف فكل أمر تشاهده له ظاهر وباطن فقتل الولد كان خيرا وكذلك خرق السفينة.

مشاركة (15) بعد جلسة طويلة مع شقيقي الشيخ محمد—رحمه الله- قال: إن الناظر لآيات القرآن يجد أن ما بين آيات الأمر بالعمل مع آيات رد الأمر للمولى ﷻ توازن كما بين سكتي القطار من تواز وتوازن، وهذا التوازن يفهمه الإنسان لآنه يمشي على رجلين وبأحدهما يكون أعرجا

فمحاضرتنا ليست لفهم كل القضاء والقدر ولكن لإفحام وإفهام الذين يحتجون على ترك العمل بحجة القضاء والقدر.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ۝وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾